العمارة ودورها في الحفاظ على هوية الأمة
حارة المغاربة في فلسطين نموذجا

د./ أحمد شنتي
جامعة العربي التبسي الجزائر

كثيرا ما تغنى الأدباء والنقاد بدلالة المكان في الشعر العربي حتى عُرفت بعض القصائد بالطلالية، ونُعت بعض الشعراء خاصة شعراء العصر الجاهلي من أمثال زهير بن أبي سلمى وأمرؤ القيس وعبيد بن الأبرص والنابغة الذبياني بالوقوف على الأطلال؛ أي استحضار رمزية المكان في شعرهم، وإغراقه بمعاني الحب والوفاء باعتباره جزءا من هوية الوطن ومجدا تليدا للأمة،فضلا عن تشخيص المكان وضخ دماء جديدة فيه لتضفي عليه صفة البقاء والديمومة،وربما محاكاة لذلك ارتبطت العمارة والعمران بالأمم التي أندسرت ومضت وأفل نجمها، فأضحت آثارهم تدل على مساهمتهم وإنجازاتهم الحضارية، وفي هذا الاطار تسعى هذه الدراسة الى إماطة اللثام عن دور حارة المغاربة التي يعود ظهورها الى العصر المملوكي في ربط صلة المغاربة بهذه

الأرض المباركة، على الرغم من قدم ظهورها (منذ حوالي ثمانية قرون)، ومن جهة أخرى كيف بقيت محافظة على قدسيتها ومحفورة في الذاكرة الجماعية دون سواها عند عموم المغاربة، رغم أن هجرات المغاربة ومن ثم استوطناهم في بلاد المشرق كثيرة ومتعددة.

أولا/هجرة المغاربة واستوطانهم ببلاد الشام

يظن كثير من الناس أن العلاقات المغربية المشرقية تعود الى فترة الدولة الفاطمية وذلك عندما نقل المعز لدين الله الفاطمي عاصمة دولته من بلاد المغرب الى مصر سنة 362هـ/ 973م حيث رافق جند من قبيلة كتامة الأمازيغية جوهر الصقلي إلى مصر وساعدوه في بسط نفوذه وسلطانه عليها[1]، بل كانوا اغلب الجيش الفاطمي الذي غزا بلاد الشام وقد استوطن بعضهم في مدينة القدس فيما عرف فيما بعد بـ " حارة المغاربة " الواقعة في الجهة الجنوبية في القدس[2].

لكن العلاقات أقدم من ذلك وأرسخ ففضلا على أن جل المؤرخين والكتاب البربر والعرب من أمثال البكري وابن عبد الحكم والسلاوي وسالم المطماطي وصابي ابن مسرور الكومي وكهلان ابن ابي لوا والقديس أوغستين يعتبرون أن أصل الأمازيغ السكان الأصليين للمغرب العربي يعود الى كنعان بن حام بن نوح؛ انتقلوا من بلاد الشام الى بلاد المغرب [٣] بالإضافة الى انتقال الأميرة عليسة بعد ذلك وتأسيس الإمبراطورية القرطاجية التي كانت امتدادا للإمبراطورية الفينيقية مما ربط علاقة بين المشرق والمغرب، ولكن أهم هذه الصلات وأوثقها هي التي نسجها الفاتحون المسلمون منذ عهد الخلافة الراشدة، وقد شهد القرنان الثاني والثالث من الهجرة حركة دؤوبة للمغاربة باتجاه المشرق فكان طلب العلوم النقلية من مضانها ديدن كثير من فقهاء المغاربة وعلمائها[٤].

وقد امتزج المغاربة في المجتمع الشامي ومن تجليات ذلك علاقات المصاهرة والزواج وخاصة بين الوافدين المغاربة من طلاب العلم، ففضلا على رحم العلم و"العلم رحم بين أهله" فان المصاهرة لعبت دورا كبيرا في توطيد

العلاقات الأسرية والاجتماعية فقد تزوج المتصوف ابن عربي بنت أحد قضاة الشام وأضحى بذلك من أهلها وساكنتها كما تزوج المؤرخ البرزالي صاحب المصنف الموسوم ب"المقفى على تاريخ أبي شامي" امرأة شامية

كما صاهر السخاوي تلميذه المقري ابن شعيب الكتبي، في مقابل ذلك فقد كانت النساء المغربيات تستهوي قلوب المشارقة لما عرف عنهم من تعدد الزيجات، فأخوال عبد الرحمان الداخل (صقر قريش) من قبيلة نفزة البربرية ولعل من أجل صور الروابط الأسرية بين الشاميين والمغاربة أسرة المؤرخ أبي شامة فوالده تزوج امرأة مغربية وتزوج هو نفسه ب "ست العرب" الأندلسية وعقد قران أحد بناته بعبد الرحمان بن محمد البكري المراكشي [٥].

ربما أقام المغاربة في بلاد الشام واستوطنوا بها من أجل طلب العلم حيث ينظر الى من تخرج من هذه البلاد المباركة بتاج الوقار باعتباره "سافر كثيرا وأخذ عن عدد من الشيوخ في البلاد النائية" [٦]، أو استوطنوا بغية التجارة أو إيجاد عمل يقيمهم الفاقة ولعل حج بيت الله الحرام أهم أسباب

استقرار المغاربة ببلاد الشام [٧]، و قد كان المغاربة بعد إتمام مناسك الحج أو العمرة يمرون على مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم بالمسجد الأقصى في طريق عودتهم،[٨] ودرجوا على اعتبار أن من حج و لم يشد الرحال الى المسجد الأقصى، حجه ناقص، و أنه لم يأت مناسكه على الوجه الكامل والمطلوب، ولهذا كانوا لا يميزون بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وبين مدينة القدس [٩]،

بالإضافة الى العوامل السابقة فان حالة التمزق السياسي الذي كان يعيشه العالم الإسلامي خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي دفعت كثيرا من المغاربة والأندلسيين الى الهجرة خاصة بعد سقوط دولة الطوائف في الأندلس، فضلا على التأثيرات السلبية للهجمات الصليبية الإسبانية والبرتغالية على السواحل المغربية، وملاحقة مسلمي الأندلس حيث ما حلوا وارتحلوا، مما اضطر الكثير منهم الى الهجرة الى بلاد الشام، ومن جهة أخرى فان بلاد الشام أضحت مركزا للجذب والاستقطاب مما ساهم في وفود الكثير من العناصر والطوائف المغربية منذ انتقال عاصمة الخلافة الفاطمية الى القاهرة، كما نزحت

أعداد هائلة منهم الى بلاد الشام في العصر الأيوبي طلبا لرغد العيش ووفرة الأمن، خاصة وان الأيوبيين قد انتهجوا سياسة تشجيع التطور الزراعي والصناعي وأضفوا رعاية خاصة للعلاقات التجارية مع المدن الإيطالية مما انعكس إيجابا على الأوضاع الاقتصادية والثقافية(١٠).

وربما كان للحظوة التي يجدها المغاربة في فلسطين دور في عدم التخلف عن زيارة بيت المقدس أثناء زيارتهم للمشرق وهذا ما أشاد به الكتاب والرحالة المغاربة من أمثال أبوالعباس المقري وابن خلدون والعبدري وابن بطوطة وابن جبير(١١)، هذا الأخير زار القدس الشريف مرتين أثناء الفترة التي كان صلاح الدين الأيوبي يستعد لتحريرها (أواخر القرن 6هـ) وذكر أن كثيرا من المغاربة يخرجون إلى المشرق (١٢)، وكتب في رحلته أنه وجد في الجامع الأموي في دمشق "مجتمع عظيم كل يوم اثر صلاة الصبح، لقراءة سبع من القرآن دائما ومثله اثر صلاة العصر... فلا تخلو منه القراءة صباحا ولا مساء وفيه حلقات للتدريس للطلبة، وللمدرسين فيها اجراء واسع. وللمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي يجتمع فيها طلبة المغاربة ولهم اجراء معلوم" (١٣).

من زاوية أخرى فان العامل الديني والروحي له الدور الأساسي في ربط المغاربة بفلسطين باعتبار أن فلسطين مهد الرسالات السماوية وأرض مباركة بنص القرآن: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إنهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ "[١٤] و قوله عليه الصلاة والسلام : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد :المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا" [١٥].

ومما يدل على كثرة المغاربة بمدينة القدس أن جعل لهم شيخ يتولى أمورهم ورعاية مصالحهم ويمثلهم في المحكمة الشرعية[١٦]، كما كانت لهم زاوية تعرف بهم وجامع يحمل اسمهم، فضلا على حملهم لمفاتيح الكنيسة المقدسة في بيت المقدس ونظرا لمكانتهم فإنهم يتولون فتح أبواب الكنيسة أمام الحجاج المسيحيين[١٧]، وكان شيخ المغاربة يمثل صلة الوصل بين السكان المغاربة من جهة وسلطات المدينة من جهة أخرى ممثلة بالوالي أو المتصرف ، وقد أطلقت عليه سجلات المحكمة الشرعية لقب شيخ السادات وأحيانا شيخ المشايخ ، وشيخ المغاربة.[١٨]

ثانيا/المشاركة المغاربية في الدفاع عن مقدسات المسلمين في فلسطين:

حين غزا الصليبيون القدس عام 492هـ/1099م ارتكبوا في حق سكانها مذابح يشيب لها الولدان وتتفطر لها القلوب؛ حيث قتلوا من علماء المسلمين وعبادهم وزهادهم وعامتهم ما يربو عن 70 الفا وكان من الشهداء مغاربة كثر من ساكني القدس الذين آثروا الاعتكاف في المسجد والتعبد فيه عن العودة للأوطان ومنهم [١٩].

لم يغف للفرنجة جفن في بيت المقدس فقد اشتعلت مقاومات شعبية قادها العلماء والفقهاء وعضد جانبهم متطوعون من مختلف بقاع العالم الإسلامي، وكان المغاربة في صدر هؤلاء حيث رسموا صفحات مشرقة في تلاحم هذه الأمة مشرقها بمغربها، فبالإضافة إلى قدسية المكان ورمزيته فان نادي الجهاد كان محركا أساسيا لتوجه الكثير منهم الى بلاد الشام وفلسطين كونها تمثل جبهة متقدمة في مواجهة الخطر الصليبي.

وقد شارك المغاربة بشكل فعال منذ الأيام الأولى لانطلاق المقاومة وقادوا معاركا معتبرة ضد الفرنجة ورفعوا لواء الجهاد من أجل تعبئة المسلمين باعتبار استرداد القدس فرض عين على كل مسلم ، حتى أن أحد علماء دولة المرابطين المغاربة دعا على منبر جامعة القصر بمدينة بغداد عاصمة الخلافة العباسية الى توحيد جهود المسلمين من أجل تحرير بيت المقدس، وقد قاتل واستشهد في مواجهة الصليبيين مع ثلة من رجال المغرب بعدان استعان بهم الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي وقد أحسن وفادتهم وأكرم نزولهم [٢٠].

وعندما قاد نور الدين زنكي لواء الجهاد ضد الصليبيين قدّم المغاربة واستعان بهم وقد لعبوا دورا يشهد لهم في جيشه، وهذا ما جعل زنكي يفتدي أسراهم وكان التجار وأصحاب الأموال قد أنفقوا من حر مالهم الكثير من أجل تحرير أسرى المجاهدين المغاربة عرفانا لجميلهم وتحفيزا لهم على مواصلة الجهاد والتوافد على جبهات القتال [٢١]،وقد ذكر ابن جبير أن عدد أسرى المغاربة لدى الصليبيين كان كبيرا جدا وتم تسخيرهم في الأعمال الشاقة وعوملوا معاملة

فضة، ولم يستثن من الأسر حتى النساء فكانت في" أسواقهن خلاخيل الحديد، فتتفطر لهن الأفئدة ولا يغني الإشفاق عنهن شيئا"(٢٢)

وقد قام نور الدين زنكي بتقديم كل التسهيلات للقادمين من الأندلس والمغرب، وأحسن وفادتهم، وأنزلهم أحسن المنازل، وفضلهم في كثير من الأحيان على السكان الأصليين(٢٣)، وهذا ما شهد به ابن جبير في رحلته: "ومن مناقب نور الدين رحمه الله تعالى، أنه كان عين للمغاربة الغرباء الملتزمين زاوية المالكية بالمسجد الجامع المبارك أوقافًا كثيرة منها : طاحونتان وسبعة بساتين وأرضا بيضاء وحماما ودكانين بالعطارين ...وديارا موقوفة لقراء كتاب الله يسكنونها ، وأخبرني أحد المغاربة، أن هذا الوقف المغربي، يغلّ إذا كان النظر فيه جيدًا خمسمئة دينار"(٢٤) .

وكان جزاء مشاركتهم ودورهم في محاربة الصليبيين مع نور الدين أن أقدم الإفرنج على فرض مكس على المغاربة الداخلين لمدينة عكا دون غيرهم من

المسلمين [٢٥] لثنيهم والحيلولة دون مشاركتهم إخوانهم المشارقة في الوقوف في وجه الصليبيين وحملاتهم [٢٦].

وبوصول السلطان الأيوبي صلاح الدين الأيوبي لسدة الحكم، راسلأبا يوسف يعقوب بن عبد المؤمن الموحدي يطلب منه إرسال نجدة بحرية عاجلة لفك حصار الفرنجة على مدينة عكا ومما جاء في إحداها : "وأحوج ما كنا إلى النجدة البحرية والأساطيل المغربية[٢٧].

وعلى الرغم أن صلاح الدين خاطب يوسف يعقوب في رسالته بأمير المسلمين بدل أمير المؤمنين، هذا الأخير لم يعجبه ذلك وأسرها في نفسه وحمل رسول صلاح الدين على خلق البر والجود ولم يجبه الى حاجته ويقال أنه جهز له بعد ذلك مئة وثمانين أسطولا ومنع النصارى من سواحل الشام، وقد عزا ابن خلدون هذا العدد الهائل من السفن الى ان اختصاص ملوك المغرب بالأساطيل الجهادية في مقابل عدم عناية ملوك مصر والشام في ذلك العهد بها [٢٨]،وقد لبى كثير من المغاربة دعوة صلاح الدين واتجهوا الى جبهات القتال زرافات

ووحدانا وربما وصل عددهم الى الآلاف وأبلوا بلاء حسنا في الدفاع عن ديار المسلمين[٢٩].

وممن لبى داعي الجهاد الشيخ أبو مدين الغوث الذي قطعت ذراعه ودفنت في ثرى المسجد الأقصى .[٣٠]ويعتبر عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس أحد القادة البارزين للسلطان صلاح الدين الأيوبي وبلغت شهرته الاتفاق في مقارعة الصليبين في فلسطين وبلاد الشام عموما.[٣١]

وبعد أن حرر صلاح الدين مدينة القدس عام 1187 أذن لمن أراد من المغاربة الذين شاركوا في هذا التحرير بالعودة إلى ديارهم، فاختار الكثير منهم فضل البقاء في المدينة المقدسة على العودة للديار[٣٢].

وقد أشاد بدور المغاربة وشجاعتهم وجسارتهم في مواجهة الصليبيين صلاح الدين نفسه ففي رسالته إلى دار الخلافة العباسية بعد استيلائه على حصن بيت الأحزان، كتب قاضيه الفاضل"واستفرغت فيها عزائم الجهاد واستقصيت، واحتلت به الرجال الذين يعملون في البحر، ويفتكون في البر،

ومن هو معروف من المغاربة لغزو بلاد الكفر، فسارت على سوار هي كنائن، والا أنها تمرق مروق السهام، ورواكد هي مدائن الا أنها تمر مر السحاب غير الجهام، فلا أعجب منها تسمى غربانا، وتنشر من ضلوعها أجنحة الحمام، وتسمى جواري وكم مبشر مجريها من النصر بغلام، وطرقت في الأحد حادي عشر جمادى الأولى ميناء عكا، وهي قسطنطينية الفرنج، ودار كفرهم، أبدلها الله من الكفر إسلاما ، وخلع عنها الشرك البالي، وخلع عليها من التوحيد أعلاما.....فاستولت على عدة من المراكب تحطيما وتكسيرا، ونطاحا يقلقل ولو كان ثبيرا، وأخلت ساحل الفرنجة بقتالها، وباشرت مثل الماء بنزولها ونزالها، وهذا مالم يعهد من الأسطول الإسلامي مثله في سالف الدهر، لا في حالة قوة إسلام ولا ضعف كفر، ومما سبيله أن تطرز السير الكريمة بفخره كما طرز الله الصحيفة الشريفة بأجره." [٣٣]

كما نوه المؤرخون المشرقيون بتقدير عساكر المسلمين لفعالية المنجنيق المغربي في دك حصون الفرنجة المنيعة[٣٤]، ومن ذلك ما ذكره ابن عبد الظاهر في فتح

حصن صفد على يد الظاهر بيبرس عام 1265 فقال:" ورمى المنجنيق المغربي في هذا اليوم، فأثر آثاراً حسنة[٣٥]

وكانت أحداث الحملة الصليبية الثانية 1448م ملحمة للافتداء حيث سقط على أبواب دمشق بعض المغاربة على ر أسهم الشيخ يوسف الفندلاوي [٣٦] وعمره يناهز الثمانين حولا رافعا شعار " لقد بعت واشترى" مستشهدا بقوله تعالى:

"إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَا لْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ...."، وارتقت أرواحهم الى بارئها دفاعا عن حياض المسلمين ليسجلوا هم ومن سبقهم من الشهداء أروع الأمثلة وأجلها في تلاحم هذه الأمة[٣٧].

ثالثا/أحباس المغاربة في فلسطين:

تعتبر القدس أرض مباركة للعالمين:" سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله " ، وهذا ما دفع المسلمين من أغنياء أمراء وسلاطين وحتى عامة الشعب على حبس الحبوس ووقف الأوقاف في سبيلها، وكان للمغاربة في هذا الوقف نصيب معتبر، وتعد وقفية حارة المغاربة أول أوقاف المغاربة وقد أوقفها الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين الأيوبي عام 1192(٣٨).

وقد أوقف الملك الأفضل المدرسة الأفضلية على فقهاء المالكية، وبجوارها أوقف قطاعًا من المدينة يقع بجوار المسجد وسور الأقصى من جهة الغرب، ويخرج إليها من أحد أبوابه، وأضحى معروفًا باسم حارة المغاربة، كانت وقفًا على طائفة المغاربة على اختلاف أجناسهم(٣٩).

من جهة أخرى أوقف المغاربة بعض المنشئات العمرانية داخل مدينة القدس وخارجها فكانت هناك عشرات الوقفيات العائدة لشخصيات مغاربية وتعد وقفية أبو مدين الغوث (٤٠)أهم هذه الأوقاف وأكبرها وقد أوقفها على الفقراء

والمحتاجين من المغاربة في مدينة القدس عام 720هـ/ 1320م،[٤١]، ويتكون من مكانين منفصلين:

أولا: قرية عين كارم وتشمل أراضي تضم المعطل والعامر والداثر والصخور والأوعار وتشتمل على أثار دور وأثار بنيان بأراضيها وبستان صغير يستقي من ماء عينها وأشجار زيتون ورمان وخروب وتين وبلوط وكروم وذلك بجميع حقولها ومرافقها وآبارها وكل ما ينسب الى القرية سواء أكان داخلها أو خارجها.

ثانيا: ويقع المكان الثاني من الوقفية داخل مدينة القدس ويعرف بقنطرة "أم البنات" بباب السلسلة ويضم إيوان وغرفتين وساحة ومرتفق ومخزن وقبو في أسفل المبنى، وقد حبس الإيوان ليكون زاوية يسكن فيها الوافدون من المغاربة الى القدس. [٤٢]

رابعا/ دلالة المكان...ترميم الوقف وتعميره:

أطلقت العرب الأطلال على كل ما ترك وراء القبائل بعد رحيلها ويطلق عليه كذلك الربع والديار والمنازل، وللمقدمة الطلالية خاصتها في القصيدة اذ يؤتى بها تمهيدا لموضوعات أخرى يود الشاعر تناولها والتطرق إليها، فبعد ان يقف على الآثار المقفرة للحبيبة ينتقل من تداعي المعاني وترابط الأفكار الى ذكر أهل هذه الديار وساكنيها مفتخرا ببطولته وجسارته ليمتزج افتخاره بقبيلته الى افتخاره بنفسه[٤٣]، من جهة أخرى تشكل الاطلال علامة خطابية بارزة داخل القصيدة وبما أن بنية الأطلال زماكانية فهي تأخذ دلالتها من عمقها الثقافي[٤٤]، وقد عزا البعض دافع المقدمة الطلالية الى الحرمان من الوطن الذي ينشد فيه الشاعر الاستقرار والثبات فعند وقوف الشاعر على الأطلال يستحضر أيام الصبى وعنفوان الشباب أيام المحن والابتلاء وأيام السعادة والهناء، ليثير كل ذلك في نفسه أنواع من الحزن الشاجي والاسى والحنين الذي يدفعه الى مخاطبة هذه الديار ومناجاتها رغم أنها لا تعدو أن تكون حجارة صماء أو آثارا لا تنبس ببنت شفة.[٤٥]

ولقيمة حارة المغاربة في قلوب المغاربة، حاولوا الحفاظ عليها وتعميرها، وفي هذا الاطار شكلت إدارة خاصة بهذا الوقف، مهمتها الاهتمام بتعمير العقارات وترميمها وإصلاحها والحفاظ عليها ونزولا عند شرط الواقف، وكانت الحارة بحاجة ماسة للترميم للحيلولة دون خرابها وسقوطها بفعل غزارة الأمطار وتساقط الثلوج، إضافة الى تعرض المدينة الى بعض الهزات الأرضية التي أدت الى تصدع بعض الجدران وانهيارها، وكانت كل هذه الأعمال تتم تحت إشراف مهندس الأوقاف الذي كان يتابع حالة العقارات الوقفية ويسهر عليها، وفي هذا الإطار وافق المجلس الإسلامي الأعلى بمدينة القدس سنة 1945 على تخصيص مبلغا لتعمير إحدى دور الوقف بناء على تقرير المهندس وأقر المجلس أيضا صرف مبلغ 550 جنيه لتعمير بعض دور المغاربة التي تصدعت، وبلغت قيمة المصروفات التي أنفقت على تعمير وترميم مختلف عقارات وقفية أبو مدين سنة 1961 ما يقارب 512 ألف دينارا أردنيا واشتملت على إصلاح دور وتبليط أزقة وبناء مستودعين وتكحيل وتركيب أبواب ونوافذ وترميم غرف الزاوية. [٤٦]

وتتم أعمال التعمير والترميم بعد إجراء مناقصة لفترة زمنية محددة لتسلم المشاريع لأصحاب أرخص العروض، ليتم إبرام اتفاقية بين دائرة الأوقاف والملتزم تتضمن شروطا عامة وخاصة؛ منها تحديد نوع الأعمال المتفق عليها ومدة الإنجاز مع تحديد الغرامات التي تنجر على الإخلال بشروط الاتفاق من تأخر في الإنجاز أو عدم رفع الأنقاض.... الخ، وقد حرصت إدارة الوقف على تنمية عقاراتها واستغلالها حتى تبقى إراداتها ثابتة خاصة في ظل تنامي نفقات الوقف ومصاريفه، لذلك لجأت الى كراء أراضي الوقف بقرية عين كارم لفلاحي القرية واستخلاص حق كراء الدور من المغاربة في الحارة، وقد سارت إدارة الوقف في تأجير أرض عين كارم عن طريق المزاد العلني حيث يبين نوع العقار ورقمه ومقداره على أن يدفع المستأجر ثلث قيمة الايجار عربونا ويقسط الباقي على ثلاثة أقساط على أن تحدد مدة الإيجار بين السنة والسنتين.

وعلى اثر نكبة 1948 وقعت قرية عين كارم تحت الاحتلال الصهيوني وتم تهجير ساكنيها وسيطرت بذلك قوات الاحتلال أراضي القرية بما فيها الوقفية [٤٧]، وعقب ذلك وفي سنة 1952 قام القاضي الشيخ شعيب

الطالب التلمساني بتكوين لجنة لحماية هذا الوقف من الإهمال والخراب، وفي سنة 1955 زار بيت المقدس أحد المدرسين من مدينة سطيف الشيخ محفوظ لونيسي بعد أدائه فريضة الحج، وذكر أن الوقف بقي منه زاوية ودار أعدت لنزول أهل شمال إفريقيا القاصدين بيت المقدس(٤٨)

أما حارة المغاربة فقد أقدمت جرافات الاحتلال في 11 يونيو 1967 على جرف عقاراتها ومنازلها وأتت على قواعد 140 منزلا من البنيان، ليتم تشريد سكانها المغاربة البالغ عددهم 650 شخص وتم هدم مسجد البراق والأفضلية ومقام الشيخ حسن ومقام الشيخ عبيد ومكتب إدارة الأوقاف ومختزنها (٤٩).

<u>خاتمة:</u>

تساهم العمارة والعمران في استيطان الإنسان وتشبثه بهذه الأرض التي استعمرها فتعدو جزءا من هويته وتراثه ولهذا طالما تغنى الشعراء منذ القديم ونظموا القصائد والمعلقات في رثاء أو مدح دورهم ومواطنهم، وفي هذا

الاطار جاءت هذه الدراسة لتقف على استنتاجات علمية عمقها البحث المتأني وشفعتها الدلائل الدامغة.

ارتبط المغاربة بفلسطين منذ زمن طويل فبالإضافة الى أن بعض النسابة والكتاب يرجع أصلهم الى كنعان بن حام بن نوح فان الفتوحات الإسلامية قد ربطت صلات وثيقة بين المشرق والمغرب ازدادت وثوقا بالهجرات المتبادلة بين الطرفين ولقدسية فلسطين فقد آثر كثير من المغاربة مجاورة المسجد الأقصى والاعتكاف فيه، وزادت أعدادهم أثناء فترة الدولتين الفاطمية والأيوبية.

وبعد ظهور الحملات الصليبية توافد المغاربة زرافات ووحدانا وتضافرت جهودهم من أجل الدفاع عن حياض المسلمين وبعد تحرير القدس آثر الكثير منهم عدم العودة الى ديارهم ليشكلوا بعدها جزءا مهما من النسيج الاجتماعي والعمراني في فلسطين فيما عرف بحارة المغاربة.

ورغم مرور أزيد من ثمانية قرون على وقف الحارة فإنها حافظت على قدسيتها ورمزيتها بالنسبة للمغاربة ولازال المغاربة يتذكرون بأسى وشوق لاذع أوقافهم في قرية عين كارم والأفضلية والبوابة الغربية للمسجد الأقصى.

وربما هذا الاهتمام المغاربي بهذه الحارة من الرغم أن المغاربة قد استوطنوا أماكن عدة في المشرق في مصر ودمشق والحجاز وكان عددهم معتبرا فان الذاكرة الجماعية المغاربية لم تحافظ لنا على قدسية مكان مثلما حافظت على قدسية وقفها في فلسطين، ويعود هذا الاهتمام الى العمارة التي بقت أطلالها عالقة في نفوسهم لتذكرهم بمجد تليد وتعيد في نفوسهم حنين الماضي

---

[1]أحمد حطيط، "مكانة المغاربة الاجتماعية بدمشق في زمن الحروب الصليبية "، في: التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002، ص91.

[٢]وقف سيدي أبو مدين في القدس الشريف 1320/720م، طبعة خاصة بالقدس عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2009، ص06.

[٣] أنظر الدراجي بوزيان، القبائل الأمازيغية، و سهيل الخالدي، الجزائر وبلاد الشام (صفحات من النضال المشترك ضد الاحتلال)، منشورات الحضارة، الجزائر، 2013.

[٤] نها ملاعب، " نحو مقاربة لمسألة اندماج المغاربة في المجتمع الدمشقي في العصور الوسطى، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 5، ديسمبر 2010، ص 220، نقلا عن ابن خلدون المقدمة ص481

[٥] نها ملاعب، مرجع سابق، ص 227

[٦]عبدالهاديالتازي،"المغاربةوالقدس"،مجلةدعوةالحق،عدد5،أوت1981، الرباط، ص121.

[٧]فواز منير الرجولة، "المغاربة في دمشق"، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد 13، ص 21.

[٨] عبد الكاظم العبودي، "صورة للتأمل...أم حنين لخطى بومدين (أبا مدين الغوث تطلع معنا إلى براق المسلمين)"، جريدة الشعب، 2009/09/15.

[٩]عبد الغني بلقيروس، صفحات من جهاد الجزائريين بفلسطين (1948-1949)، دار الخلدونية، الجزائر، 2010، ص35.

[١٠] شوكت عارف الأطروشي ودرويش يوسف حسن، "مساهمة المغاربة والأندلسيين في الحركة العلمية ببلاد الشام على عهد الأيوبيين (567. 648/ 1171. 1250)"، مجلة افاق فكرية، العدد الثالث، أكتوبر 2015، ص ص 24،25.

[١١]عبدالله صدقي بطبوطي، المغرب والقضية الفلسطينية (بعض مظاهر الدعم الشعبي)، الجزءالأول، د.مد.ن، 2009 ، ص 09،10.

[١٢]بونة مجاني، "دور المغاربة في تحرير بيت المقدس من الصليبيين"، في : دراسات وبحوث مغربية (أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور موسلقبال)، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008 ، ص135.

(١٣) ابن جبير، أمراء وأسرى وخواتيم (حكايات ابن جبير مستخلصة من رحلته)، تقديم علي كنعان، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2009، ص 159.

(١٤)الإسراء، الآية رقم 01.

(١٥)متفق عليه.

(١٦)عبد الكاظم العبودي، مرجع سابق.

(١٧)المرجع نفسه.

(١٨)وقف سيدي أبو مدين في القدس الشريف 1320/720م، مرجع سابق، ص07.

(١٩)عبد الرحمان محمد مغربي، "دور المقومة المغربية الشعبية في مواجهة الوجود الصليبي في مملكة بيت المقدس 492 583هـ/ 1099 1187م"

(٢٠)المرجع نفسه، ص 233.

(٢١)نفسه ،ص 243.

(٢٢)ابنجبير، مصدر سابق، ص 180.

(٢٣) علي أحمد، "مساهمات الأندلسيين والمغاربة في الحروب الصليبية في مصر والشام "، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع 67، ماي 1997، ص77.

(٢٤)ابنجبير، مصدر سابق،ص 257.

(٢٥)ابنجبير،مصدر سابق، ص274.

(٢٦)بوبة مجاني، مرجع سابق، ص 141.

(٢٧)أبو شامة المقدسي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، دار الكتب العلمية، بيروت ، ج2، ص

(٢٨) أبي العباس السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، دار الكتب العلمية، ص 301.

(٢٩) شوكت عارف الأطروشي، ص 25،26.

(٣٠) وقف سيدي أبو مدين في القدس الشريف 1320/720م، مرجع سابق، ص04.

(٣١)عبد الغني بلقيروس، مرجع سابق، ص36.

[٣٢]المرجع نفسه، ص06.

[٣٣]أبو شامة المقدسي، مصدر سابق، ص 30،31.

[٣٤] أحمد حطيط، مرجع سابق ، ص92.

[٣٥] محي الدين ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر، د د ن، الرياض، 1976، ص 373-374.

[٣٦] عبد الرحمان محمد مغربي ، مرجع سابق، ص 232،

[٣٧]المرجع نفسه، ص 234.

[٣٨]وقف سيدي أبو مدين في القدس الشريف، مرجع سابق، ص08.

[٣٩] علي أحمد، مرجع سابق، ص80.

[٤٠] أبو مدين الغوث: أبو مدين شعيب بن أبي عبد الله محمد بن أبي مدين شعيب الأندلسي التلمساني، ولد في قطنيانا إحدى قرى أشبيلية، درس بفاس وقد ارتحل إلى المشرق حيث أخذ العلم على كثير من علمائها، ثم عاد إلى بجاية حيث استقر بها وكان له مجلس للعلم والفتية بها، وقد جرت عليه آراؤه المعارضة للموحدين في الاعتقاد إلى التضييق عليه، توفي في قرية العباد بضواحي تلمسان حيث دفن بها سنة 1197م، وقد كان له حفيد من ابنه محمد والمعروف بابي مدين الحفيد وهو صاحب الوقف المشهور. انظر: وقف سيدي أبو مدين في القدس الشريف، مرجع سابق، ص38-39.

[٤١]محمد الطاهر علاوي، العالم الرباني أ بو مدين، ج 1، دار الأمة الجزائرية، الجزائر، 2004، ص 64-65.

[٤٢] وقف سيدي أبو مدين في القدس الشريف، مرجع سابق، ص ص 8. 9

[٤٣] أحمد الحسن عبد العيثاوي ، "ظاهرة الأطلال في الشعر العربي قبل الإسلام"، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد. ص31-33.

[٤٤] إسماعيل إبراهيم مصطفى البرزنجي ، سيميوطيقا الأطلال انسياق الثقافة في الخطاب الشعري، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد 20، العدد 3، مارس 2013، بغداد، ص 52.

[٤٥] أحمد الحسن عبد العيثاوي ،مرجع سابق، ص31-33.

[٤٦] وقف أبو مدين، مرجع سابق، ص 20، 21.

[٤٧]المرجع نفسه، ص 35

[٤٨] عبد الرحمن الجيلالي، تلمسانو القدس الشريف، مرجع سابق، ص 109-110.

[٤٩] وقف أبو مدين، مرجع سابق، ص 35.